الملخص

الفلاحة الرومية – لمؤلفه قسطا بن لوقا البعلبكي

دراسة وتحقيق

الدكتور وائل عبد الرحيم اعبيد

أولت معظم الدراسات الحديثة التي تناولت بلاد الشام في العصر العباسي النواحي السياسية والعسكرية جل اهتمامها،في حين أهملت النواحي الإقتصادية للمنطقة، وذلك لقلة الملعومات المتناثرة في بطون الكتب التاريخية والجغرافية.

وبعد تحقيق كتاب الفلاحة الرومية ، لمؤلفه قسطا بن لوقا البعلبكي الشامي اضافة جديدة إلى النصوص الفلاحية المعروفة والمحققة، واسهاماً علمياً في حقل العلوم الزراعية.

ويبدو أن قسطا بن لوقا قد ألف كتابه «الفلاحة الرومية» ليزود الفلاح العادي معلومات أساسية تساعده على أعماله الفلاحية من ناحية: اختيار الأرض المناسبة للنبت والزرع، وتحديد أوقات الغرس والبذر والحصاد، وطريقة خزن الحبوب وحفظها لمدة طويلة، وغير ذلك من ضروب الفلاحة وفنونها.

ومع أهمية كتاب الفلاحة الرومية الذي يعكس الطرائق الزراعية المطبقة في بلاد الشام في «القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي» فلم تظهر أية محاولة لتحقيقه، لذا أرتئى الباحث إلى دراسة الكتاب وتحقيقه تحقيقا علمياً.

وقد مهَّد الباحث لتحقيق المخطوط بدراسة الأوضاع الزراعية في بلاد الشام في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي وتحدث عما يلي:

أولاً: النظام الزراعي في بلاد الشام من ناحية (أ) طرائق استغلال الأرض (ب) الأساليب الزراعية (ج) الأدوات الزراعية (د) مشروعات الري.

ثانيا: المحاصيل الزراعية وتربية المواشي في بلاد الشام من ناحية:

(أ) محاصيل الحبوب (ب) الخضار والبقول (ج) النباتات العطرية والطبية (د) الأشجار المثمرة والفواكه (هـ) الأشجار الحرجية والغابات والمراعي.

وقد اشتملت خطة البحث على عدة أمور، هي تعريف المؤلف، وتحديد منهج التحقيق وتحليل خطة الكتاب ومصادره، ثم أهمية كتاب الفلاحة الرومية، ومنهج المؤلف وأسلوبه.

وجاء هذا الكتاب في أثني عشر جزءاً، تناول فيه الأساليب الزراعية أيام الرومان وما يتعلق بها،ولما كان مؤلفه قداستقى جُلّ معلوماته عن الكلدانيين، لذا تداخلت المادة الفلاحية في الكتاب مع الممارسات السحرية والمعتقدات الكلدانية المتعلقة بالكواكب والنجوم وصناعة التنجيم.

وقد أشتمل **الجزء الأول** منه على خمسة عشر باباً تناول فيهما الكواكب والنجوم والبروج والمنازل والرياح. فذكر أن عدد بروج السماء إثنا عشر برجاً ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة، وأطال المؤلف في الحديث عن المنازل والبروج لما لهما من أهمية في حياة الناس، وبين أنواع الرياح واسماءها ومهابها ودورها في سقوط المطر.

وخصص **الجزء الثاني** في اختيار مواضع المساكن وقسمه إلى ثمانية أبواب أورد فيهما أن أصوب مواضع البنيان وأقواها وأنفعها ما ارتفع من الأرض. وتكون أبوابها وأفنيتها من جهة المشرق لسرعى استقبال طلوع الشمس وضوئها عليهم، وتحدث عن علامات الأرض الطيبة وفائدةُ السماد للأرض والزرع، وما صلح من الرجال لأعمال الفلاحة، واختتم الجزء بذكر المكاييل والأرطال.

وفي **الجزء الثالث**: تناول فيه أحوال البذور وقسمه إلى ستة وعشرين باب تحدث فيها عن أوان الزرع بالأيام والساعات واختيار البذور الحديث والجيد، والأرض التي تناسبه، وطريقة اقتلاع الحشائش المضرة بالزرع، ومقاومة الآفات الزراعية، كما بين أوان وطريقة زرع الحمص والعدس والترمس والكتان والبُرّ والشعير، وتحدث عن أوان إدراك الزرع وحصدهِ وخزنهِ في المخازن وحمايته من الآفات.

أما **الجزء الرابع**: فيتناول أمر الكرم وقُسّم إلى مائة وثمانية عشر باباً، تناول فيها أوان حفر الكرم وغرسه، ومقدار عمق الحفرة التي يزرع فيها، ونوعية القُضبان التي يمكن زراعتها،وبين طريقة غرس العنب فيصير عنباً لا بذر له، وزرع الجرجير والقرع والقثاء في الكرم، ليسلم الكرم من الدود، وأطال الحديث عن تقليم الكرم وأوانه، كما بين طريقة إضافة بعض الكرم إلى بعض أو إلى غيره من الأشجار، وأوان قطاف الكرم. وأولى المؤلف اهتماماً في طريقة صُنع الشراب من العنب وخزنه وحفظه من الفساد، وكيف يمكن إصلاحه إذا فسد ، وتناول الأشربة المسكرة من غير الخمر كشراب البُّر، والشعير، والأرز، والآس، والعسل، وغيرها.

ويبحث **الجزء الخامس**: في أمر البساتين وقسمه إلى أربعة وثمانية باباً، بدأه في اختيار الأرض لزراعة البساتين ، وأوان الغرس وتعهده وبين كيفية إضافة الأشجار بعضها إلى بعض، ومعالجة الذي انقطع حملهُ، أو الشجر الذي يسقط ثمره من غير ريح يصيبه، أو الشجر الذي أصابه آفة، كما بين أوان غرس التفاح وصيانته، وأوان غرس الزعرور، والخوخ والكمثرى، والمشمش، والتين، والرمان، والفُرصاد، والسفرجل، والعنّاب، والغُبيرا، والآس، واللوز، والجوز، والفستق، والصنوبر وغيرها من الأشجار.

وجاء **الجزء السادس**: في أمر الزيتون، وَجُعِلَ في اثنين وعشرين باباً، تحدث فيه عن الاهتمام بشجرةِ الزيتون من حيث زراعتها والعناية بِها، ووصف الأرض التي يُغرسُ فيها الزيتون، والطريقة المتبعةِ ليزيد حمل شجر الزيتون، وطريقة معالجة شجر الزيتون من الآفة، وفائدة السماد له. وحدد أوان قطف حب الزيتون والطريقة المتبعة في ذلك وطريقة عصره وخزنه، كما بين علاج الزيت الكدر حتى يصفو، وأنهى الجزء في حديثه عن عمل الزيتون الذي يتآدم به.

أما **الجزء السابع**: فجعله في أمر المباقل والمقاثي وقسمهُ إلى ثلاثةِ وأربعين بابا، تناول فيه الحديث عن الأرض التي تزرع فيها المباقل، والمقاثي، ونوع السماد الذي تُسمّدُ به، وأوان زرعه، وبين طريقة صيانة البقول من الدود والطير وذلك بخلطه بحب النانخاه، أو زراعة السلق والجرجير بين البقول، أو ينقع بذر البقول بماء الحنظل، وتحدث في هذا الجزء عن معظم أنواع المباقل والمقاثي من حيث: أوانُ وطريقة زرع كل نوع، وفوائده الطبية، ومن

هذه الأنواع: السلق، والقثاء، والقرع، والبطيخ، والجرجير، والكرفس، والهندبا، والحُماض، والكُرّاث، والاسفاناخ، والكرنب الشامي... الخ.

وكان **الجزء الثامن**: في أمر الزواحف والحشرات والديدان، وجَعَلَ في ثلاثةٍ وعشرين بابا، تحدث فيها عن مضار الزواحف والحشرات والديدان وطريقة التخلص منها، وذلك بطبخ الترمس والحنظل ثم ينضح على الزرع فإنه ينجُ من الجراد بعد أن يجد ريحه، وخلط لوز مر أو حنظل بعجين ثم يوضع في باب حُجرَ جرذان البُرّ فإذا أكلت منه ماتت. وإذا دُخّن بالقُرّاص في حارةٍ لم يقرب الذباب تلك الحارة.

وجاء **الجزء التاسع**: في ذكر الطيور وخصص له اثنان وعشرون بابا تحدث فيها عن أمر الحمام وكيف يآلفُ بيته حتى لايهرب منه، وطريقة حماية الحمام من الزواحف والحشرات. وتحدث عن بيوت الدجاج وطريقة حضن البيض بالدجاج وغير الدجاج، ومعاقبة الدجاج الذي يأكل بيضه، واختتم حديثه في معالجة الدجاج من الأمراض. وبحث في أمر البط من حيث نوع العلف للبط والعناية بفراخه، كما بين طريقة صيد الطيور باستخدام بُرّ غير منخول، وعجنه بخمر فإن الطيور تتحير ويأخذها الصياد كيف شاء.

وخصص **الجزء العاشر**: في ذكر الحيوان وجعله في عشرين بابا، تناول فيها الخيل ونتاجها وتربيتها ومداوة أمراضها والمحمود من صفاتها والمذموم منه، وأولى اهتماماً بالبقر من حيث أفضليها للتربية، ووقت تلقيحها ومدةِ الحمل عندها، وكيفية إبعاد الذُباب عن البقر، وتحدث عن الحُمر الأهلية، وحُمر الوحش، والضأن، والمعز، وذكورها وإناثها، وسلامتِها من الداء،وبين أن أفضل أماكن رعي الغنم في الجبال، ووصف ذكور الكلاب وإناثها، وكيف يألف الكلب أهله، واختتم الجزء بالحديث عن الأرانب وخنازير البّر والأيائل والإبل والحنازير.

وجعل **الجزء الحادي** عشر: في أحوال البشر، وقسمهُ إلى أربعةَ عشرَ باباً،بدأها بالحديث عن نحل العسل من حيثُ: أكلُها، وطريقة بناء بيتها، وحمايتها، وطريقة صنُع العسل، وفوائد العسل،وتمييز العسل الخالص من المغشوش، وأطال الحديث عن بعض طباع

الحيوان كالذئب إذا نهش بأنيابه فرساً فإن الفرس ترتعب وتُسرع بالمشي، وإذا رأى ذئبُ إنسانا قبل أن يراه الإنسان أبح صوت الإنسان.

وأولى اهتماما خاصاً في هذا الجزء بأحوال البشر من حيثُ : أمراضهم وطرق علاجها كمرض الرُعاف، والسُعال، والحكة واليرقان، ووجع الضرس، ووجع الأذنين، وحفظ صحة الإنسان.

واختتم كتابه **في الجزء الثاني** عشر: بأمورٍ حياتية متعددة وقسمه إلى واحد وثلاثين باباً، أوضح فيها طريقة صنع المربى وتمييز العسل الخالص من المغشوش، وتطييب ريح الثياب، وحفظ الحديد من الصدأ، وطريقة صيد بعض الحيوانات، وبحث في دفع مضرة السمِّ، وطريقة صنُع الحبر، وما يكلُّ حدِ الشفرةِ وغيرها من الأمور الحياتية التي تفيدُ البشرُ.

الباب الأول

التطور الزراعي

في بلاد الشام

في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي